

تفسير البحر المحيط

@ 371 رَسُولَ اللّٰهَ { وتسميه لها بآية أي على زعمك ولذلك علّلوا الإتيان بقولهم { لَتَسْخَرَنَّاهَا } وبالغوا في انتفاء الإيمان بأن صدّ روا الجملة بنحن وأدخلوا الباء في { بِمُؤْمِنِينَ } أي أنَّ إيماننا لك لا يكون أبداً { * ومهما } مرتفع بالابتداء أو منتصب بإضمار فعل يفسره فعل الشرط فيكون من باب الاشتغال أي شيء يحضر تأتينا به والمضير في { تُحَرِّكُ بِهِ } عائد على { مَهْمَا } وفي { بِهِ } عائد أيضاً على معنى مهما لأنَّ المراد به آية آية كما عاد على ما في قوله { مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا } ، وكما قال زهير : % (ومهما تكن عند امرء من خليفة % . وإن خالها تخفى على الناس تُعلم . %) .

فأنت على المعنى ، قال الزمخشري : وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرّرها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تأتينا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله تعالى وهو لا يشعر وهذا وأمثاله مما يجوب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه انتهى ، وهذا الذي أنكره الزمخشري من أن مهما لا تأتي طرف زمان وقد ذهب إليه ابن مالك ذكره في التسهيل وغيره من تصانيفه إلا أنه لم يقصر مدلولها على أنها طرف زمان بل قال وقد ترد ما ومهما طرفي زمان وقال في أرجوزته الطويلة المسماة بالشافية الكافية : % (وقد أتت مهما وما طرفين في % . شواهد من يعتضد بها كفى . %) .

وقال في شرح هذا البيت جميع النحويين يجعلون ما ومهما مثل من في لزوم التجرد عن الطرف مع أنَّ استعمالها طرفين ثابت في استعمال الفصحاء من العرب وأنشد أبياتاً عن العرب زعم منها أنَّ ما ومهما طرفا زمان وكفانا الرّد عليه فيها ابنه الشيخ بدر الدين محمد وقد تأوّلنا نحن بعضها وذكرنا ذلك في كتاب التكميل لشرح التسهيل من تأليفنا وكفاه ردّاً نقله عن جميع النحويين خلاف ما قاله لكن من يعاني علماً يحتاج إلى مثوله بين يدي الشيوخ وأما من فسّر مهما في الآية بأنها طرف زمان فهو كما قال الزمخشري ملحد في آيات الله وأما قول الزمخشري وهذا وأمثاله إلى آخر كلامه فهو يدلّ على أنه جثا بين يدي الناظر في كتاب سيبويه وذلك صحيح رحل من خوارزم في شيبته إلى مكة شرفها الله تعالى لقراءة كتاب

سيبويه على رجل من أصحابنا من أهل جزيرة الأندلس كان مجاوراً بمكة وهو الشيخ الإمام
العلامة المشاور أبو بكر عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله الأندلسي من أهل بادرة من
بلاد جزيرة الأندلس فقرأ عليه الزمخشري جميع كتاب سيبويه وأخبره به قراءة عن الإمام
الحافظ أبي علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجاني قال قرأته على أبي مروان عبد
الملك بن سراج بن عبد الله بن سراج القرطبي قال قرأته على أبي القاسم بن الإفليحي عن أبي
عبد الله محمد بن عاصم العاصمي عن الرباعي بسنده ، وللزمخشري قصيد يمدح به سيبويه وكتابه
وهذا يدل على أنه ناظر في كتاب سيبويه بخلاف ما كان يعتقد فيه بعض أصحابنا من أنه إنما
نظر في نتف من كلام